قدر

دار دريم بن للطباعة والنشر

العنوان : مدينة العبور - الحي السادس فيلا ٨ مدخل ١

هاتف : 010003288596

بريد إلكتروني : Dream.pen92@gmail.com

قدر

روان أيمن

الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٢٠م

غلاف : عمار جمال العبد

تصميم فني: الديوان للتصميم وخدمات النشر

رقم الإيداع : ؟؟؟؟ / 2019

I.S.B.N: 978-977-488-???-4

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونيًا نسخًا أو تسجيلاً أو تخزينًا، دون إذن خطي من الدار

قدر

رواية

روان أيمن

DREAM PEN
FOR TRANSLATION & PUBLISHING
AND DISTRIBUTION

لـكل مـن عاندهـم القدر، وظنـوا أنهـم ليسـوا قادرين علي التخطي، أهدي لكم كلماتي.

الإهداء

شـكراً لعائلتي، وشـكراً لكل من سـاندني فـي إخراج هذا العمل للنور.

ربمـا سـيكون جيـدًا للبعـض، وسـيئا للبعـض الآخـر ولكنه سيكون عظيما أن لمس قلوبكم.

أما بعد يا سادة....

شكر خاص (بوك مارك العظيم والقائمين عليه)

شكرا للكاتب العظيم (أحمد العربي)

صاحب الفضل الأكبر والتشجيع الاكبر لي.

وشكر أيضًا للأستاذ محمد صبري

(١)

لم تكن تشبهم كان يعتريها الاختلاف، كانت جميلة لأبعد الحدود، ليس جمالا شكليا.. بل جمالا روحيا.. رممت روحي بابتسامتها التي سكنت حنايا روحي.. انها قدري المنتظر..

حقا انها قدر....

قدري الذي طالما حلمت به

❖ ❖ ❖

أخترق قلبي حديثها، وصمت وكأني طفلا مذنبا تعاتبه أمه. كانت تعاتبني بعينين باكيتين.

تصارعت نبضات قلبي حتي كاد يخترق صدري ويشقه شقا لرؤيتها تبكي، حاولت مرارا تهدئتها ولكنها رفضت الانصات لي.

أتذكر كلماتها الآخيرة حدثتني بلهجة حادة قائلة أستمع لي..

(أنا ذاهبة.. ذاهبة بعيدا.. الي مكان ليس به رائحتك ولا وجهك ولا صوتك.. إلي مكان ليس به حبك.. لن تتواجد به أنت)

حاولت أن أتمسك بيدها ولكنها أفلتت يداي..

أخبرتها أن تنتظر، أن تمهلني يوما واحدًا.. يوما واحدًا فقط كي أزيل ما بها من وجع ولكنها رفضت حتي النظر بعيني... وانا الذي كنت في شوق لنظرة من عينيها..

تركتني وحيدا وذهبت لا إلي أين ؟! لا لا أنها لم تذهب أنها بداخلي.

سأعيدها إلي سأعيدها.

كان اختفائها كالكارثة بالنسبة لي

كسر قلبي وتخاذلت روحي وزهدت في الحياة.

❖ ❖ ❖

وأخيرًا أطلقت العنان لروحي، الآن أستطيع استنشاق والهواء بعيدًا عنه ،الذي قد حرمني رغد العيش

جعل حياتي له فقط.. كنت له كالعبدة التي قد تحيا او تموت بكلمة من سيدها.

لقد كنت أسيرة الآن كسرت كل الحواجز وتخطيتها.. وسأعيد حياتي الي حياتي سابقة العهد ، سأعود كما كنت منذ عامين...

❖ ❖ ❖

لا أعلم ما الذي يمكنني فعله لاستعاده قدر ، أنها قدري.. ومأواي وملجأي ، أنها سكينتي وفرحتي ومهجتي.. ، أحببتها كطفلتي

كيف فعلت هذا بي؟!

❖ ❖ ❖

ركبت القطار ودخلت إلي مقعدي كانت الغرفة فارغة وبعد فترة وجيزة دخل شابا في مقتبل العمر ، جلس ولم يلق حتي السلام.

ومع تحرك القطار أخرج كتابًا من جيبه وأنغمس في قراءته ، وانغمست أنا في تفكيرعميق فبدأت استعيد ذكرياتي مع

(يوسف) حتي أني تذكرت ليالنا الخوالي، حتي أني لم أشعر بنفسي إلا عندما قاطعني صوته،

قائلا: (لقد وصلنا الي أخر محطة أظن أن علينا النزول الآن)

دهشت من حديثه وأجبته في تردد قائلة:-

نعم أنها المحطة الأخيرة ولكن أين نحن؟!

نحن يا سيدتي في الإسكندرية

❖ ❖ ❖

أتصلت بكل من يعرفها، لأحد يعطيني اجابة شافية تريح قلبي الذي كاد ينفطر من ألم الفراق...

قدر أين أنت ؟!

إلا تعلمين كم أحبك، أعلم أنني قتلتك وجعًا علي قيد الحياة.

عودي يا قدر.. عودي.أعدك سأحبك أكثر

مما أحبك.. فأنا الآن، أموت كل يوم دونك ألا يكفيكِ كل هذا الفراق؟!

لقد أصبحت جثة هامدة يحيها حبك فقط.. أصبحت حياتي دونك بلا معني...

❖ ❖ ❖

الإسكندرية، ما أجملها لقد سمعت عنها منذ صغري ولكني لم ازورها يوما، قاطع تفكيري قائلا

سيدتي هل تعرفين أحدًا هنا ؟!

تمهلت لوهلة صغيرة،

وأجبتـه في تردد نعـم لالا أعرف أحدًا.... لقد كنت أود الذهاب للإسكندرية. وفعلت، ولكني سأبحث عن فندق للإقامة به..

❖ ❖ ❖

بادرني ضاحكًا، وقال لي...

لا عليـك سـيدتي فأنـا أعـرف فنـدقً قريب وصاحبـه صديقي دعيني أساعدك أنتِ هنا في ضيافتي.

تـرددت في قبول عرضه ولكنـى وافقت فلم يكن بيدي حيلة آخري، فانا وحدي لأول مره في بلد غريب...

شـردت مـرة آخر عندما ركبنا السـيارة ولكـن هذه المرة لم يكن شرودي بأي شيئا غيره!!

لا أعرف كيف خانني تفكيري وشردت به..

وخاننـي لسـاني أيضًـا... فصرخت بـه قائلة في حـزم وغضب (أوقـف السـيارة الآن، أود الذهـاب انـا لسـت بحاجة لمسـاعدتك شكرًا جزيلا لك سأدبر أمري بنفسي)

فنظـر لي نظره كادت أن تبكيني من حدتها وأوقف السـيارة ولكني لم استطع النزول.

❖ ❖ ❖

بحثت عنك في كل مكان.. لم أجدك

روحي يا كل كلي يا ملجأي،

أين أنت يا حلوتي... كاد عقلي أن يتلف من التفكير يا حبيبتي..

أفنيت روحي ونفسي في أيجادك يا قدر..

ارجوك يا اللّه ساعدني في استعادة روحي...

دعوتك يا رب ولا مجيب الدعاء الا أنت..

❖ ❖ ❖

أحسست بأني تجمدت في مقعدي، ومع هذا وكل ما يحدث لم يتفوه بكلمة واحدة فقط كان ينظر لي، ولكن بعد لحظات نظر لي ساخرا ضاحكا وقال لي (تظنين أن زوجتي أو خطيبتي في انتظاري هناك لذلك تريدين النزول، لا تقلقي فما زلت اعذبًا، ..)

وأتبع كلامه قائلا أليس هذا ما يجول ببالك الآن ..وفي تلك اللحظة أرتفع صوت ضحكته... وكلما أرتفع صوت ضحكته يزداد خوفي وصمتي وبدأ جسدي في الارتجاف...

ثم صمت فجأة وعاد لسكونه مرة أخري وتحركنا بالسيارة حتي وصلنا إلى باب الفندق...

❖ ❖ ❖

عندما اقتربنا من الباب لم يكن فندقا بل كان منزلا قديما ينقصه سبل الحياة الحديثة، تظن وكأنك في بيتٌا للأشباح، أوراق متطايرة هنا وهناك، تظن بأن من يقيم به دجالاً أو ما شابه ذلك، لم يختلف قط عن تلك البيوت القديمة التي تظهر بالتلفاز.

حديقته مجردة، صوت الهواء يضوي من حولك ودوامات الأتربة تلاحقك أينما ذهبت.

دخلت أرتجف من شده البرد والخوف

أستقبلنا موظف الإستقبال بحفاوة..

تركته وجلست منهكة من الطريق ورأسي يدور به ألف سؤال.

أتاني بعد حديث طويل مع موظف الاستقبال بصوتا خافتا لم

أسمع منه سوي (لك ما اردت سيد أدم)

ادم ؟! اسما جميل لكن لا يليق به هو وسيم لا بل باردا...

ومضي فقط دقيقتين

استدعاني السيد آدم ليعرفني علي صديقه.

فمضيت إلي الغرفة التي أشار إليها عامل الفندق بعد تردد شديد فى الذهاب ولكن أخيرًا ذهبت، طرقت الباب وفي نفس اللحظة وضع أحدهم يديه علي كتفي ألتفت مسرعة وأغشي علي من هول ما رأيت.

❖ ❖ ❖

يوسف إلي متي ستظل هكذا تسجن نفسك في أحداث الماضي، قالها أحمد وهو يحاول إيقاظي من النوم،

لـمَ تفعل هذا يا صديقي؟، أخبرني بما يدور في تلك الرأس المصفحة اللعينة!

أنت تضعف نفسك بنفسك، يعزعلي قلبي رؤيتك تتحطم هكذا، وأنا مكتوف اليدين.

ليتني أراها حتي أصفعها صفعة من قوتها تبكى دمًا.

ماذا تقول يا أحمد ؟! تريد صفع قدر ؟!

كيف تتجرأ علي هذا..كيف أخبرني قدر (هي في الحسن أية فكل من يراها يحسدها علي جمالها..

(صاحبة العينين البنيتين والشعر الاسود الداكن والبشرة البيضاء النقية هي رقيقة تكاد تذوب إن لمستها..

ووجنتيها الورديتين وثغرها الصغير الباسم)

دعني أخبرك أمرًا.. كنت أغار لو لامس الهواء خصلات شعرها..

أنا أغار عليها من شخص يبتسم لها.

استيقظت ، ووجدت نفسي في غرفة مظلمة ليس بها غيري، كنت مكبلة بالحديد لم أتمكن من الحركة ، وكلما حاولت الحركة تتصارع أنفاسي حاولت كثيرا تهدئة نفسي، وعندما هدأت سمعت صوتا يشبه صوت دقات الساعة أخذت تزداد وتزداد مع نورًا خافتًا يظهر ويختفي، هدأ الصوت فجأة ومرة واحدة ازداد ولكنه أصبح ضجيجا وصرخات متتالية تأتي من كل أتجاه وكأن الجدران ذاتها تصرخ كاد قلبي يخترق صدري خوفا.. صرخت بكل ما اوتيت من قوة (أين انا؟! فليجيبني أحد؟ ولكن لا أحد يجيب)

عاد كل شيئ للسكون ومعهم أنفاسي، ووسط السكون ظهرت خيالات تقترب مني، أحسست بأيادي تلمسني، وصوتًا يقول لي أهدأي أنتِ هنا معي بأمان...

فقط أفعلي ما أريد ، وسرعان ما وجدت نفسي في غرفة أخري أنتفض من شده الخوف أنفاسي متضاربة دقات قلبي تتسابق نظرت ووجدت هناك خادمة تشبه الأطفال في برأتها تزيل الستار عن النافذة ابتسمت لي..

ثم قالت...

(صباح الخير سيدتي أتمني أن تكوني نلتِ جزء طيبا من الراحة أخفتنا عليك)

ماذا حدث أخبريني.. لو أمكنك ذلك قُلتها وأنا صوتي يرتجف،

لكنها لم تعيرني اهتمامًا وذهبت في اتجاه الباب.

وعندنا فتحته أظلمت الغرفة وتتطاير كل ما فيها حتي أنا.. لم يمض ثوان حتي عاد كل شيء للسكون ووجدتها واقفه مجددًا عند النافذة تبتسم

وتستأذني في الذهاب

استوقفتها متعجبة مما حدث الآن !..

دهشت الفتاة من سؤالي وقالت:-

(ماذا حدث سيدتي؟!

هل ازعجتك لقد دخلت إلي غرفتك للتو؟)

ثم تركتني وذهبت، مجددًا وفور خروجها ،

أظلمت الغرفة مرة آخري وكأن تلك الليلة لن تمر، وعاد صوت الضحكات وكان أعلي مما سبق وظهر ظلاً مخيفا فى المرآة ظلا يشبهني... نظر لي وتحولت ابتسامته الي صراخ شديد يشتد كلما تحركت أتجاه المرآه...

تراجعت ناحية السرير مسرعة ، ارتطمت به ،

وكتب علي جدران الغرفة (أذهبي سريعًا من هنا وإلا سيصيبك ما أصابني في غرفة الموت)

وفي بضع ثوان اختفت الكلمات، ثم هدأ كل شيء وسكن لحظة دخول أدم الغرفة يبتسم لي..

لم يعيرني أحمد اهتمام وعاد لثرثرته مجددًا وقال بطريقة منمقة دبلوماسية :-

لكنك يا صديقي تفقد حياتك من أجلها أرجوك إستمع لي

وعـد لحياتـك.. فهناك من تنتظـر منك نظرة واحـدة فقط لتكون معك جانبك.. تخشي عليك من نفسك حتي أجبته غير مبالٍ:-

إسمعني جيدا انا لا أريد أحدًا سوي قدر فهمتني أليس كذلك.

أنا فقط أريدك .. أن توقف الحديث في هذا الامر مجددًا وأعلم أن نور لن تكون مثل قدر، أنا حقا أشفق عليها

لشفقتها علي، أخبرها أني لن أستطيع أن أرد الشفقة بشفقة..

غدا سأقطع عطلتي وأعود للعمل...

❖ ❖ ❖

أنهـا التاسـعة صباحـا، والبـاب يـدق دقـات خفيفـة ولكني ، استيقظت !

في الحقيقة أنا لم أغفو فكيف تنام العين

والقلب لا ينام..

سألت من الطارق فكان هو (السيد أدم)

تـرددت فـي فتـح الباب ولكـن كان هناك شـيئا مـا يدفعني لمقابلتـه لا أعلـم ما هـو، في نهاية الامر فتحـت الباب كان هناك يقـف أمامـي منمق الثيـاب، طويل البنيـان، يلمع شـعره البني في أشعة الشمس التي أخترق ثنايا الفندق وكأنه غير مسقوف..

نظر إلي باسما فبادلته الابتسام..

ظل واقفا حتي أذنت له بالدخول، تشبثت أعيننا ببعض ولكني بادرته متسائلة ؟!

مـاذا جـاء بك في هـذا الوقت الباكر من الصبـاح ، هل حدث شيء؟!

قـدر لماذا كنـت تصرخين هكذا ، هل رأيـت حلما مزعجًا أو كابوسا؟!

تـرددت كثيـرا في اخبـاره حتـي لا يعتقد بأني فقـدت عقلي، وايضا لأنه ليس صديقا لي...

ساد الصمت لبضع دقائق، لم يتفوه كلانا بكلمة واحدة

قاطع صمتنا صوت الخادمة تطلب منه القدوم إلي غرفة المدير، فهو يريد ان يراه..

(٢)

نحن نكمن هنا حيث الشرود والإرتجاف، بين الماضي والحاضر، علي مشارف السقوط في فوهة القدر..

ولكن يبقي الأمل، مادامت قلوبنا تنبض بالحب.

❖ ❖ ❖

الساعة السادسة صباحاً ، الجو ملبد بالغيوم لابد أن هناك عاصفة عاتية اليوم ، قررت المكوث في البيت بين اوراقي وكتبي وذكرياتي.

جلست خلف النافذة أتأمل الشمس وهي تشرق من بين الغيوم، شعرت وكأن القدر يلوح لي بفرصة أخري للحياة، أبتسمت ثم أكملت قهوتي الباردة التي لم تفرق كثيرًا عن مشاعري المتجمدة منذ زمن.

ألتفت مجددا للنافذة وجدت الغيوم أصبحت أكثر. اختفت بهجتي لوهلة.

وبقيت أنظر بشغف عسي أن تحن الغيوم علي قلبي وتعيد لي أملي من جديد ، لكن الأمر كان أشد سوء من تخيلي، لقد زاد حنيني إليها وأعتصر فؤادي من شدة ألمه لفقدها.

وفي لحظة وجدت نفسي أكتب لها رسالة لعلها ذات يوم تقرأها وتؤتيني بها لتقر عيني ويبتهج قلبي ألتقت ورقة وقلم ودونت ما جال بخاطري حينها

(وقلبـك في الحـب أية.. تجمل الوجود.. ظننتك بدرًا لا بل كنت قمرًا.. لكنك كنتِ مصباح وهاجًا.. أنار ظلامي الدامس المتخفي بي.. الذي أخفيته عنوة خشية من فقدك..

ولكن خوفي اخافك فازددت تعلقاً بي..

فتشابكت أرواحنا كتشابك الأيدي...

أصبحت مأمني وأماني.. ظلي الذي أستظل به من كون مخيف غريب أحني ظهري.. يرفض كوني مختلفا حالما

أرفـض أن أسـتكين لتلك العـادات لا بل العاهـات الواهية التي ترسخت به منذ أمد بعيد..

وايضـاً يقولون الحب أكثر مما ينبغي شـاق يدمر كون الرجل لكني أحببتك وكأن الحب لم يخلق إلا لسواك)

❖ ❖ ❖

أتذكر وقت طفولتي كانت جدتي دائما تنادي جدي

دائمـاً ويعتـري وجهها ابتسـامة جميلـة .. ثم تبرق عيناها وتشـع حباً...

كنت صغيرة حينها لم أدرك معني هذا.. ومضت الأيام وأصبحت في العشـرين من عمري وجدتي تبلغ من العمر سـتون عاماً ولازالت تذكر جدي في مجالسنا بذاك الاسم...

علي الرغم من وفاته منذ أكثر من خمس سنوات..

تسألت كثيراً عن معني الاسم.. وعن عشق جدتي لجدي..

لكنـه كان حنوناً يعتري وجهه قسـمات العجز...ولكن عينيه ظلـت كمـا هي ظلـت مثلما كنت أراهـا في صغـري.. لقد كان

جميـلاً يحب الجميع ويحبه الجميع.. يوم وفاته كان المنزل ممتلئ بالأحبـاب والاقارب حتي الغرباء والجيران أتوا ليودعوه... ولن أبالغ إذا قلت أن أسـاس المنزل غلب عليه الحزن والأسـى... جميعنا كنا بصدمة اجتاحت صدورنا

لقد ذهب حبيبنا جميعاً.

كانت جدتي أكثرنا تماسكاً.. لم تبك قط.. ظلت تردد

(لقـد ذهب قاسـم عـن عالمكم ولكنه سـيبقي داخلـي بقلبي حتي تفني حياتي وتنتهي)

لكنها سـرعان ما انهارت وانسـابت الدموع من عينيها وكأن السماء شعرت بها وبدأت الامطار تتساقط...

لـم أري جدتي قط في هذه الحالة، أعتصر فؤادي لفقد جدي، وحزن جدتي.

وأصبحـت فـي حيرة مـن أمري، ويـزداد فضولـي لأعرف هذا السـر الـذي يكمن فقـط في قلب جدتـي، وكل يومـآ يمر يزداد فضولي وحيرتي...

ومضت الأيام وأصبحت في الخامسـة والعشـرون، كنت أظن أنـه بمـرور الأيام سـيكون جدي وذكرياته نسـيًا منسـيا ولكن سرعان ما تداركت خطائي، حينما وجدت وضع جدتي يزداد سوء لقد أصبحت هزيلة ضعيفة من شدة الحزن.

زادت تسـاؤلاتي وزاد فضولـي حتـي جـاء اليـوم الـذي تجـرأت فتحدثـت لجدتـي وسـألتها عـن أسـباب حبهـا لجدي، نظـرت لي نظـرة مليئة بالعشـق والشـغف وصحبتهما ابتسـامة لـم أراها منذ زمن امتزجت بها ايضاً الحزن والاشـتياق ، ثم طلبت مني الاقتراب

فدنوت منها قبلتني وأجلستني جوارها ، تبادلنا أطراف الحديث..

بدأت أنا الحديث....

جدتي :- من صغري أسمعك تنادين جدي باسم خاص.. لماذا يا جدتي ؟!

راوغتني وكأنها تتهرب من الاجابة..فساد الصمت لثواني ثم قالت..لأنه هكذا يا صغيرتي..

صمتت مجدداً ثم تابعت حديثها ، لم يكن كل هذا من فراغ لقد وهبني الحب والحياة معا ، وبني لي كوكبًا خاصا هو بيتنا الصغير هذا فأصبح لي قصرا ضخمًا كقصورالأحلام بحبه ومودته ، توجني ملكة علي عرش قلبه ، ليس فقط ملكه في قصرنا الذي بنيناه في بيتًا صغيرًا ، حتي أنه لم يجرحني قط ولم يمسني بسوء ، حتي وقت خصامنا كان يأتيني مهرولاً ليس علي مهل ليسترضي فؤادي ولا يتركني حتي أبتسم ، علي الرغم من كوني مخطئة لم يشعرني بهذا.. وهبني كل ما بوسعه ربما ايضاً ما يفوق طاقته حتي يسعدني.. لم يجعلني أعاني ابدًا.. كنت أظن أني سأكون وحيدة ولكنه أحاط فؤادي بهالة من الاهتمام.. وملأ حياتي بالكثير من الحب أقسم لك يا حبيبتي أنه أنار حياتي وكأنه أقسم علي أن يجعلني أبد الدهر أبتسم..

يوم وفاة والدي أنزل السكينة بقلبي.. قال لي حينها وهو يبتسم وعينيه غارقتين بالدموع.. لقد مات اليوم أبوك..ولكن منذ اليوم أنا ابوك الثاني أنا هنا حي لم أموت ، فوربك الذي خلق هاتين العينين اللتين أغرق بهما من نظرة أن فؤادي يعتصر لرؤيتك تبكين ، فلا تبكي يا صغيرتي رفقاً بي..

ومن يومها يناديني طفلتي المدللة.. وأستمر الوضع هكذا حتي ذهب بعيداً حيث مكث في السماء.. وتركني هنا في المنتصف المميت بين ذكرياتي به والحاضر دونه والمستقبل الذي لا يعلمه إلا الله... لقد سمعته أحداهن يوما يناديني بطفلتي المدللة تعجبت لأمره واستشاطت غضباً وسألته بتهكم

كيف تكون طفلة مدللة وهي بهذا السن لقد بلغت الاربعين وأماً لخمسة أطفال ولديها حفيدتين ؟!

فأستنكر عليها ما قالته وإجابها إجابة شافية.. كدت أظن أنها ستحترق في موضعها مما قاله..

قاطعتها ضاحكة.. ماذا قال يا جدتي... ؟!

لقد قال لها.. والله حتي ولو كانت اماً لمائه طفل. وبلغت من العمر عتياً.. ولو زاد وزنها وأصبحت قعيدة الفراش لا تقوي حتي علي حمل كوب ماء ستظل في عيني تلك الطفلة الحبيبة التي جئن بها من بيت أبيها ووعدته ووعدتها أمام الله أن أصونها وأقدم لها أكثر مما تلقي في بيت أبيها علي الرغم من اني أعرف جيداً أن الفتاة وأن قدمنا لها الكنوز المكنزة لن تعودها عن دلال أبيها..

وأن رأيتها يوما تبكي أو بها ضيق.. أتيتها مهرولاً أتمني لها الرضا كي ترضي.. وان رضيت كنت في قمة سعادتي.. وأن لم ترض أصابني الهم حتي ترضي..

كانت تحكي وهي بقمة سعادتها ، لم انسي بريق عينيها ، قد كانت مثل البدر عند تمامه.. أحمرت وجنتيها وأصبحت مثلما كانت بصباها...

شردت قليلا منها ولكنها قاطعتني وهي تكمل حديثها فأتبعت

قائلة

لا تظنـي يا ابنتي أن هناك أحدًا منا يحب الثاني أكثر فكلانا أفنـي حياتـه في أسـعاد الآخـر لكن بأسـلوبه.. فـلا يمكن لأحد الحكـم علي حب أحدهـم وهو لم تخوض تجربة مثلنا ، لقد مررنا بصعوبات كثيرة لنبقي سويا.. وها أنا أصبحت عجوزاً لا أقوي علي السـير بمفردي وعـكازي الذي وهبته لي الحيـاة لم يبق هنا كما عاهدني... فأصبحت عاجزة حبيسة الذكريات بما تحتويه من حلو ومر.

كانت تتحدث وكأنها لم تمر قط بأحداث مؤلمة ، حتي ظننت أن الحياة لم تعطها الا الحسن منها فقط ، وشعرت أنها عاشت في حياة وردية لا يتخللها اي شوائب تعكر عليها صفو حياتها...

لـم يمض إلا ثوان قليلـة وطلبت مني أن أتبعها بهدوء إلي عالمها الخاص

ذهبت دون تردد..

بدأنا في السير في صمت قاتل، لم يقطعه سوي صوت خطواتنا..

وقفنـا عند بـاب حجرة جدي نظـرت للباب بشـغف.. تمهلت في فتحه.

(لقـد كان كبيرا وكأنـه باب كأبواب القصور في القصص الخيالية)

همـت بفتحه، فوجدنا خلفه ممـر طويل ينتهي باب أخر. واصلنا السير ولم يتكلم احداً منا

وكدنـا أن نصـل الي نهايـة الممر...حتي قطعـت جدتي صمتها تقول لي.

هيا أتبعيني إلي عالمي الخاص.. ملكوتي الذي صنعه جدك لي، أتعلمين لم

أتي إلي هنا منذ وفاة جدك..

تعجبت قائلة لما يا جدتي ؟!

أجابتني بعينين باكيتين وشفتاها ترتعش، لقد ذهب من كان يأتي بي إلي هنا، كيف أتي إلي هنا بمفردي وأنا التي اعتدت علي المكوث هنا

برفقته ساعات طوال نستعيد بها ذكرياتنا ونصنع بها الأخرى..

لمت نفسي كثيرًا وقتها، لكنها سرعان ما استعادت قوتها وتابعنا السير في هذا الممر.

ووصلنا للنهاية حيث يقع الباب

(كان باب أسود اللون به مقبض حديدي كبير، فمن يراه يظن حقا أنه باب لقصر ضخم، دفعنا الباب ودخلنا سويا..

أنه بيت عتيق، لكنه مرتب كل ما فيه أثاث قديم مرتب، ولكن لا يشبه الاثاث بالأماكن المغلقة، لقد بدي البيت وكان أحدهم يحيا هنا،

الاثاث جميل للغاية، الجدران معلق عليها الكثير من الصور لهما سويا.

أستكملنا السير ووقفنا عند باب آخر..

وهنا كانت المفاجأة

❖ ❖ ❖

ها أنا انتهيت من تدوين كلماتي، ومعها انهيت سيجارة، لا

أعلم متي شـرعت في فعل تلك العادة السـيئة ولكني أعتدت عليها منذ رحيلها.

لا أعلم إلي متي سأظل هكذا ، لكن هذا الوضع

إلي متي سأظل حبيس الذكريات التي تشعرني بأني

أتنفس أنفاسي الاخيرة.

مضـت سـاعات كثيـرة وأنا أهذب نفسـي علي مـا حدث مني أتجاها ، أشد ألم فؤادي من شدة قسوتي عليه ، ما ذنب ذاك القلب فـي أفعال وغـد مثلي زير نسـاء ، أهرع إلي خلـف كل أنثي جميلة حتي أقضي ليلة في الجنة ، وتناسيت حبيبتي

التي وهبتني سنين عمرها وزهره شبابها لترضيني كانت تغفر وتغفر لكنها ملت ومن افعالي القذرة التي لا ترضي أحدًا قط.

❖ ❖ ❖

كان المكان مألوفاً بالنسبة لي، فهو يشبه منزل

جـدي القديـم، ولكـن هل مـن الممكن أن تتشـابه الأماكن هكذا ؟!

اخيراً وصلنا لنهاية الطريق حيث البيت.

(منزل قديم ذو باب ضخم ، بدي علي واجهته أثر الزمن، عندما تفتح الباب يصدر ضجيجا يكاد يفقدك سمعك، جدرانه بلغت من العمر

مبلغـا لا بـأس به، يتكون مـن عدة حجـرات كل واحدة منهن تحمـل بجانبهـا لوحـة مكتـوب عليها اسـم ، كانت تلـك الغرفة أشـدهم تمييـزا بالشـكل والاسـم، من الواضـح انها حقـا مميزة

فطلاء بابها طلي باللون الوردي لون جدتي المفضل ، وكتب عليها (قدر)، تعجبت كثيرا لما اطلق عليها قدر..

في حقيقة الامر لم أكن متعجبة من الاسم كونه أسمًا وحسب بل كان تعجبي من كونه أسمي ؟!

وماهي إلا خطوات قليلة حتي وصلنا إليها ، كانت تقع علي بعد مرمي البصر مواجهة للباب، في كل خطوة خطوناها كان شغفي يزداد ويزداد حتي كدت أن أركض للتعجيل بوصولي إليها..

❖ ❖ ❖

مضي ما يقرب سته أشهر علي فراقنا ، وها أنا ذا ما زلت أتنفس حبها.

وهي التي أقسمت علي جعلي أراها في كل امرأة تصادفني ، اتذكر مليا تلك الرسالة التي كتبته قبل رحيلها.

تلك الرسالة التي بت أحفظها مثل أسمي، كتبت بها

(تري كيف ستكون الحياة دوني ؟!

هل تحيا بي وستظل هكذا ؟!

أم أنك سرعان ما تتخطي فراقنا وتهمس لأول امرأة تقابلك أحبك وتدعوها للعشاء، تتغزل بها وبمحاسنها وتذكر لها مفاتنها التي جعلتك لا تقوي علي تركها تفلت من بين يديك، أما أن تكون حبيبتك أما أن لا تكون لغيرك ؟!

دعني أري كم ستعاني من تركي لك وأنا التي أفنيت عمري مقابل نظرة رضا من عينيك.

أعلم أنك تتأذي الأن، ولكني أعلم ايضا أن رحيلي لن يحرك

لك ساكنا ، فقط أودعك الآن.

وأخبرك بأنك سوف تراني بكل امرأة تصادفها

حتي لو كانت عجوزا بلغت من العمر مبلغا عظيما.... قدر..

❖ ❖ ❖

وصلنا إلي الغرفة، وأنا أردد برأسي أن هناك سرًا عظيمًا ، لم تشبه المنزل علي الاطلاق، تبدو وكأنها قطعة من الجنة ،واسعة ومنمقة، مرتبة..

بها مكتب صغيرًا وسبورة.. وجدرانها مليئة بالصور ، صور لكل فرد في العائلة ، وجدارًا خاصا لي ؟!

وكل صورة تحكي حكاية بألف معنى ومعنى...

اقتربت من المكتب الذي كان عليه صندوقا يشبه صندوق المجوهرات، لا أعلم ما الذي دفعني لفتحه لكني فعلتها وفتحته

كان به الكثير من الرسائل ذات أوراقًا قديمة متينة صفراء اللون، تفحصتهم بعناية وما لفت انتباهي رسالة كتب عليها (قدري أنت ومأمني)

اخذني الأسم لعالمًا آخر وكأني لم أعد هنا

أخذني الفضول لقرأتها ، لكن جدتي جاءت مسرعة تخطفها مني ومنعتني من قرأتها ، وفي غضب شديد طلبت مني الرحيل.

تحجر الدمع بعيوني، فجاء صوتها يواسيني..

لا تحزني ي صغيرتي ها هي ذا اقراءيها ولكن

حافظي عليها مثلما حفظت عليه أنا..

عادت لي فرحتي وشرودي في نفس الوقت

وحفظتها لقرأتها فيما بعد....

❖ ❖ ❖

لم أكن أعلم أن عذاب الحب يكمن في الفراق وعدم التخطي، ظننته يكمن في الاشتياق في تلهف اللقاء.

وما أعلمه جليا الأن أن قلبي يشتعل ، أشعر به كاد أن يحترق ، الحزن يُميتني علي قيد الحياة ، فأنا علي وشك فقدان عقلي.

أشعر وكأن يومًا واحد علي ذهابها ولكنها تقبع هنا داخلي، كدت أجزم أنها تجري بي مثلما تجري الدماء بعروقي، أنا حتي فشلت في الهروب من دقات قلبي التي لو كان لها صوتا لسألتني أين هي ؟!

أين من وهبتك حباً لن تناله بعد الأن ؟!

قدر التي تركتها تذهب بعيدًا ولم تكترث حتي لدموع عينيها وشكوها منك إليك من الحين للآخر، تلك التي كانت تخجل أن تعاتبك وتحنو بكلامها عليك ودنت منك كأنها ملاكاً من السماء أرسله اللّه إليك ليسعد بها قلبك، تركتك بين حسرات قلبك وشتات نفسك ، تتلوي من آلام الفقد ولرؤية نفسك عارياً أمام ناظريك ،كم كنت ظالما يا يوسف وكم كنت أناني لا تحب إلا نفسك فقط !

ها أنت الآن كلما اقتربت من شيء تشعر وكأنه يبكي هوايضاً لفراقها ، تركت ذكراها في كل مكان، عطرها يفوح بكل الأركان، حتي لمساتها الناعمة الهادئة أثارها هنا.

كدت أذوب من الاشتياق.

❖ ❖ ❖

الساعة السابعة مساءً ذهبت لغرفتي بعد يومًا شاقًا ، كنت أهرول لغرفتي وكأني مشتاقة لملقاه أحدهم ،نعم كنت مشتاقة لسرير المريح ذو الوسادة الناعمة ، لم أنم منذ ليلة أمس واليوم كان شاقاً حقا فأنا لم ألف الارهاق قط

كيف لي أن أشعر بالإرهاق وأنا مدللة أبي...

غرقت بنوم عميق وكأني لم أنم منذ قرن، استيقظت الليلة كما استيقظت الليلة الماضية علي صوت صرخات متتابعة تأتي من خارج باب غرفتي، نظرت حولي وجدت ظلام.

ظلام فقط.. !!

صوت قرع علي الباب، ما هذا المصباح مكسور ؟!

كيف هذا مصباح مكسور ويضيئ ، يا إلهي ماذا حدث كم غفوت؟

نظرت للساعه أنها السابعة وخمس دقائق..

كيف هذا ؟.

شرعت في الصراخ، المصباح يهتز بكل قوة

وفي لحظة هدأ كل شئ وسكن.

ركضت لباب الغرفة، لا يفتح.. والنافذة أصبحت كالجدار.

يا ربي أين أنا هل هذا حلم أم علم ، حقيقة ام خيال؟

حاولت الصراخ مرة آخرى، لكني لم أسمع صوتي وكلما صرخت يزداد الضجيج حولي وتهتز الغرفة بي ، ليس لي مهربا سأهلك لا محالة ، وفجأة ساد الصمت وفتح باب الغرفة

ورأيت الشمس مشرقة وشعاعها يخترق غرفتي، نظرت الساعة

مجددا وجدتها العاشرة صباحا..

جلست أسترجع ما حدث ليلة أمس كل شيء عاد إلي طبيعته، لم أتذكر سوي مشهد الحائط وهو يفيض دماً وكتب عليه (أنا عائد)، نظرت إلي ذاك الحائط ووجدته كما رأيته أمس، خفق قلبي وأرتعش جسدي وكأن أحدا سكب فوقي ماء مثلج، لم أتمكن من النهوض، شعرت بأنفاس تقترب مني وهمسات تردد أنا عائد من الموت فقط انتظري، سأجعل حياتك جحيماً لن يخلصك منه سوي الموت..

تصارعت أنفاسي وشعرت بالاختناق ، وكأني علي وشك الموت، صرت أتنهد وينتفض جسدي بقوة، وظللت هكذا حتي دخلت أمي وعدت لطبيعتي كأن شيئاً لم يكن، كنت علي وشك الانهيار ولكنِ تماسكت حتي لا تضطرب أمي.

ضحكت لي وسألتني عن صراخي ليلة أمس ؟!

تعجبت من سؤالها ترددت في أخبارها لكن سرعان ما اختفت، وعاد الظلام فتبعته الصرخات، ولكن تلك المرة ظهر الخيال واضحا، واخذ يقترب مني حتي ألتصق بي واحتضني وهدأ كل شيء حتي نبضاتي استكانت وغرقت بنوم عميق.

(٣)

بين ثنايا الذكريات، المفعمة بالحب، يكمن اليأس بينما المستقبل يكون أكثر ألماً ، لربما نلتق بمن هم أحن علينا من ذكرياتنا القاتلة ومستقبلنا المؤلم ، ولعل رحمة الله تحل بنا فتتجلي جم اوجاعنا.

كانت ليلة ممطرة، السماء ملبدة بالغيوم والبرد قارص، الرعد والبرق يجعلنا قلبك يرتجف من شدة الخوف، وبينما أنا أجوب الطرقات لأجد ما يحميني في تلك الليلة وجدتها ، تجوب الطرقات خائفة تهرول ذات اليمين وذات الشمال لتجد لها مأوي، ظهر عليها الفزع من هول الموقف...

(فتاة في العشرينيات، جميلة ممشوقة القوام، تتزين بحجاب أبيض يخفي تحته شعراً اسود اللون تدلت خصلاته علي وجهها الذي يشبه البدر، كان المطر يداعب عينيها ووجنتيها الورديتين، كانت غارقة بالمطر الذي امتزجت قطراته بدموع عينيها)

سألت نفسي متعجباً لما فتاة في مقتبل العمر تمضي وحيدة في الليل ، غارقة بالمطر هكذا ؟!

كنت أراقبها من بعيد ، فرق قلبي لحالها ، منعت نفسي مرارًا من الذهاب إليها، حتي لا تظن بي السوء، ولكن شيئا ما دفعني إليها ، كنت اخطو وكأن شيئا ما يجتذبني لهناك.

وصلت إليها فاقتربت مني ناظرة إلي بشغف وكأنها ممتنة للحياة التي أهدتني إليها ملاذاً لأؤنس وحشتها في جوف الليل،

سـلبت عيناها قوتي فأصبحـت كالغريق ببحر عينيها ، فأسـلمت أمري لها وغرقت

ولـم أمتلـك حينها ألا أن أجعلها تشـعر بالأمـان، حاولت اخفاء شرودي واسري بعينها ولكني فشلت.

ولكن سـرعان ما أدركـت وضعي وعرضت عليها المسـاعدة ولكنها أبت، عاودت النظر إلي عينيها لعلني أبث بهنا الاطمئنان، فوجـدت نظرات الشـغف تلك تحولت لنظرات هلـع وخوف لا أدري مصدره، حاولـت الاقتراب منها لعلها تطمئن، لكنها تبتعد كلما أقترب، ظلت هكذا حتي أصدمت بشجرة فسقطت أرضًا. هرولت إليهـا فهمت بصفعي، فجن جنوني حينها فاقتربت منها رغما عنها وقبضت علي يديها بعنف فبكت من أحكام قبضتي علي رسـخها ونظراتـي الحـادة لهـا ، فـرق قلبـي لبكائهـا ، تركتهـا وابتعدت مسرعًا للخلف.

حاولـت الوقـوف لكنها سـقطت مجددًا فمددت يـدي لها حتي تسـتند إليها لكنها نفرت منـي، حملتها رغما عنها ، حتي لا يزداد وضعها سوءًا.

تشبثت بي، كتشبث الغريق بطوق النجاة.

شـعرت بأنفاسها المضطربة وبكائها المكتوم ونبضات قلبها المتسارعة، وكأن قلبها ينبض داخلي.

لملمت شـعوري المضطرب ولم أعيـر الموقف اهتمام، ولكن نظرة منها حملتني لعالما آخر يكمن بعينيها ، خطفني ذاك البريق السكان بعينيها كحبات اللؤلؤ بصدفة.

قاطع شرودي صوتها تطلب مني أنزالها ، نظرت لها متعجبا من

أمرهـا ، لكني رضخت لطلبها فأنزلتها فهرولت مسـرعة واختفت بجوف الليل.....

❖ ❖ ❖

عاد السـيد أدم وكان الحزن يعتريه ، جلس بالقرب من الشرفة ينظر للبحر وكأنه يحادثه ، جلست جانبه ولم اتفوه بكلمة واحدة.

كبحت جماح نفسي حتي لا أحادثه ، لكنه بادرني بالحديث.

تعلميـن بأني منذ سـنوات عديدة لم أحـادث أنثي ولا أقترب من أحد جنس النساء فجميعهم خائنات.

نحبهم بصدق ومع أول فرصة جيدة تتزوج وكأن الحب ليس له قيمة بجانب الجاه والمال.

لست أدري لماذا احادثك الآن !

ربمـا لان صديقي ظـن أني تزوجت أو لأنك ظهرتـي لي في ليلة زفـاف حبيبتـي ، فأكون فظـا غليظ القلب وحاد معـك ، حتي وأنا أساعدك.

أعذريني فقلبي منفطر.

قال كلماته تلك ورحل ، وتركني بين شفقتي عليه و خيبة أملي التي تقتلني.

❖ ❖ ❖

استعدت قواي وتأملت الغرفة مجددا ، وجدت كل شيء علي ما يـرام تنهدت ، لكني أعدت النظر مجددا ليطمئن قلبي واطرد من مخيلتي كل الافكار السـاذجة التي تشعرني بأن البيت مسكون بالأرواح.

وقعت عيني علي حقيبتي فتذكرت أمر الرسالة التي أعطتني أياها جدتي.

قررت قرأتها ولكن فيما بعد.....

فلم يكن يجول بخاطري سوي ما حدث لي ليلة أمس ؟!

كدت أن أغرق في براثن التفكير ولكن سرعان ما لملمت شتات امري ، وأعددت قهوتي استعداداً لقراءة الرسالة.....

❖ ❖ ❖

بحثت عنها في كل مكان ولكني لم أجدها ، حتي اني ظننت بأنها خيالاً يداعب أفكاري فقط .

عدت إلي سيارتي، تفحصت المكان مجددًا لعلني أراها فعيناي يبحثان عنها في كل مكان وقلبي يرفض اللقاء.

تكلمت مع نفسي بصوا مسموع

(لما ذهبت أنا لست سيئا لهذا الحد ، أنا فقط حاولت مساعدتها ، لكنها اختفت بين ثنايا الليل ، حمقاء كباقي النساء كلهن هكذا...

لم أكمل حديثي وجدتها تخترق ظلام الليل وتقترب مني علي استحياء، وكانت في شدة الخجل، كدت أن ادير ظهري لها لكن صوتها المرتجف اوقفني.

❖ ❖ ❖

استيقظت، وكان كل شيء علي ما يرام، نظرت حولي ليطمئن قلبي ومن ثم وقعت عيني علي حقيبتي فتذكرت أمر الرسالة حملتها بيد وبيدي الأخري كنت أستند علي الجدران حتي

وصلت بأعجوبة وكأني عجوز هرمة بلغت من العمر عتيا ، جلست بشرفة غرفتي أتأمل الرسالة ، فأنا أعشق الرسائل المكتوبة بخط اليد...

(ورقة صفراء عتيقة ، كُتبت بخط منمق ، تدل علي ذوق صاحبها ، حيث فاحت منها رائحة كالمسك لكنه أختلط برائحة الزمن.)

فمن ذاك الذي يستطيع أن يعبر عن مشاعره الآن بكل هذا.

تمتمت لنفسي قائلة ، لا تفسدي علي نفسك لحظتك واستمتعي برسالة حب كُتبت بشغف، ربما لن تكون فرصة لن تتكرر.

فتحت الرسالة مسرعة حينها شعرت بأن قلبي يرتجف، لا ادري ماذا حل بي، لم أعرف ماذا حدث، فقط شعرت وكأني أذوب بين ثنايا السطور ، وأعيش حالة من الفرح، الفرح فقط، تابعت القراءة بنهم، كانت بدايتها مختلفة تمام عن باقي الرسائل فكتب صاحبها

(كصفاء السماء وجمال المطر، كليل حالك السواد يضيئه القمر، مررت بي كالضوء الخافت فأحببتك علي عَجَلَ، غضضت الطرف عنك ولكن قلبي ألتفت.

فكعبق التاريخ تحمل بين ثناياك العزة والكرم ، تذكرني بذاك الرجل الشرقي الذي مضي عليه الزمن، كالنسر تحلق بسمائي متفاخراً بنصرك بقلبي، فأعددته نصراً عزيزاً وكأنك حررتني من أسر الحياة لتأسرني بسجن قلبك، فما حيلتي وأنا المُكبلة بالأصداف وحريتي بنظرة عينيك..

لا تخشي العالم بأسره لكنك تخشي ان يغفل قلبك عني لثانية.

لا أعلـم هـل كان لقاءنا حقـاً صدفة ام أنه ترتيبـا إلاهياً لرفقة اللّه

بقلبي الشغوف بحبك منذ أمد.

أو لأنك أمنية تمناها قلبي فحملتها السماء منذ زمن ؟!

أم كان نداء للّه بالخلاص من الحزن والألم ؟!

تيمت بك وشغفت بعينيك ونسيت كل ما بي من الفرقة والندم ، ورب هاتين العينين ظننت بأنك ملاكاً هرولت إليه فأبتسم.)

❖ ❖ ❖

لماذا أخبرتها ما حل بقلبي؟! لماذا حدثتها ؟!

هل ما زال قلبي معلقًا بنغم ؟!!

كيف يمكنه ان يذكرها حتى؟

خانت كل عهودها معي، وتركت قلبي ينعي فقدانها وهي الآن بين أحضانه هو وليس أنا ، تحدثه بدلا مني، تقيم بيته وسميت علي أسـمه ، وأنـا ! أين أنـا من كل هذا ، انا هههههههـه أنا أحيا علي ذكراها.

يا ليتها ما جعلتني أحبها يوما ، فالنار تأكل فؤادي اكلًا ، ماذا فعلت حتي يحل بي الحزن، ففعل بي فعلته الشنعاء وحولني لشخص جامد شاحب اللون متعجرفا ، وقدري

أن ألتقي بفرح ليلة زفاف حبيبتي ؟

وبلحظة جاءت ببالي قد ، وعاتبت نفسي لائمًا

كم أنا سـاذجا ، هي رقيقة جدا وناعمة ، لما أقسـو عليها لهذا الحد!

لست أدري لماذا ولكن علي أن أحنو عليها حتي ترضي.

وبينما أنا أعاتب نفسي، دق الباب دقات خفيفة تجاهلتها في بداية الأمر، لكنها تزايدت حتي ظننت بأني يخيل لي، بدأت الاقتراب من الباب في خطوات محسوسة كالذي يخطو تجاه الموت، وكلما أقترب تهدأ، أرتعب قلبي وعدت من حيث أتيت، لكني رأيت انعكاس صورتهم في المرآة كانوا هناك يتمايلون علي صرخات بعضهم البعض.

دهشت لما رأيت ! وتسألت لما عادوا ألا يكفيهم ما حدث في الاعوام السابقة ؟

وسرعان ما استعدت أدراجي وفكرت بها هي فقط، قدر!

علي أخبارها بأنهم هنا وسيحل بها ما حل بالكثيرات هنا، انهم عائدون لي وليس لها، عليها الابتعاد.

عادت الأصوات مجددا، سأستسلم لن اقوي علي الفرار، فنصيبي المحتوم أن أكن مثلهم وأحيا معهم.

هكذا قالت لي فرح في أحد الأحلام!

لقد كتب علي جبيني أن أحيا وسط الشياطين والجن، بينما يتمزق قلبي علي فراق أحبتي.

لن تفارق أحبتك لا تقلق، ستلتهمهم كالدجاجالمشوي معنا.

فقط عليك الانتظار !

قالتها بطريقة قذفت بقلبي الرعب.

فرددت قائلا

سحقا لكِ ماذا جاء بكم إلي هنا ؟!

جاءت بنا إلي هنا قدر !

قدر ؟!

نعـم قـدر ، نحـن نطاردها منـذ أن وطئت قدماها هنـا ، ولم ننل منها حتي الآن كالسابقات.

لا نسـتطيع ألتهامهـا او جعلها زوجه أحدنـا ، فأنها فاتنه وأنت تعلم كم نعشق الفاتنات. فقدرهم المؤكد الموت او أنت يأتوا إلي عالمنا!

ولكن لما قدر!!!

ليس من شـأنك ، فقط أحضرها إلي هنا ، غدا سيأتي (زعيمنا الأكبر) وسيكشف لك عن هويته ، مقابل تلك الفاتنة.

قـال كلماتـه تلك وأختفي في رماده الأسـود ، وتركني أتلومي مـن عذاب قلبي الذي يلومنـي علي احضارها إلي هنا ، فأنا أعلمهم جيدا ، أين كان عقلي وقتها.

عقلك كان معي يا حبيبي!

من ماذا ! أنتِ ؟

نعم أنا. !!!!

❖ ❖ ❖

تابعت قراءة الرسالة بشغف أكثر مما سبق ،

لم أكن أعلم أن جدي رومانسـيا لهـذا الحد ، غرقت بحروفها كغرق بشبر ماء..

وبين ثنايا سطورها حييت معهم....

(جمعتنا الصدفة والقدر ذات يوم ، كنا غرباء فالتقينا وكأن

الحياة عصفت بكلانا وأتت بنا إلي هنا حيث السعادة والفرح،

لتخبرنا بأن ما مضي ليس إلا أيام وأنقضت خطف كلانا الأخر من نظرة ولكن في حذر !

لم نستطع تفسير ما حدث ومع ذلك عشقنا المجازفة، فألقينا بأنفسنا لنغرق سويا في بحراً لم نكن نعرف مداه!

نعم غرقنا ببحر الحب الذي اغترفنا منه الحب اغترافًا

بعدما كان يهطل علينا قطرات.

صنعنا عالمنا الخاص به انا وأنت وثالثنا الحب، انعزلنا عن البشر وسخافاتهم، كان عالمنا يشبه الملكوت سبحت به كالنجوم بالسماء، وفي لحظة كلانا أرتجف من شعوره الذي أختطفه لواديا آخر، واديا ظاهره الحب وباطنة المجازفة.

حاولنا التخفي والابتعاد حتي نقع في مصيدة الحزن من جديد فكلانا أكتفي قلبه من الألم، فكيف لقتيل أن يحي قتيل مثله بنظرة عابرة بددت كل ما به من ألم، كيف جعلتني أتخطي كل ما حدث لسنوات، مكثت أبكي وحيدة خالية من الأمل حتي ألتقينا، فاستسلمت بك للحياة.

وبلحظة التصق أحدانا بالآخر كالقلب ووتينه، هدمت كل الحواجز، مُحت كل الندوب بنظرة حانية في أول لقاء، فأصحبت لا أؤمن إلا بالحب ، فكنت تميمة حظي التي فقدتها فعادت لي لتدب بأوصالي الحياة).

ما هذا الحب؟

لم أكن أعلم بأن جدي احب جدتي كل هذا الحب؟!

كنت أظن بأن الحب قصة خيالية، كروايات شكسبير،

أشعار عنترة، قيس وليلى وغيرهم.

عن من تتحدثين؟!

أتحدث عن، قلتها ونظرت لأجده أمامي باسم الثغر متأنقا، تلعثم لساني

فأردف قائلا: عن من تتحدثين؟!

حاولت اخفاء الرسالة خلفي، لكنِ فشلت، فألتقطها من يدي وأغلقها وتبسم

ثم همس لي قائلا..

(أعتذر لقد كنت فظًا معك البارحة، لكن أعذريني فكيف لهذا القلب أن يحيا وهو خاسرًا!)

حاولت اخفاء دموعي ببسمة كاذبة، لكنه كشف امري.

فأبتسم مجددا وذهب بعيدا حتي أختفي وراء تلك الاشجار.

أعلم أن الذكريات مؤلمة، أكثر من الفراق والذين اقسموا علي البقاء وذهبوا حين يعودون من غفلاتهم لن يكون لهم مكان، فقلوبنا كالأوطان مقدسة، فلا يحق لكافر بالعهود خائن لكل للمواثيق أن يدخلها مجددا، حتى ولو أفنى سنين عمره ليكفر ذنبه، لقد نادتهم قلوبنا بكل لغة للبقاء، ولم يجيبوا بنظرة واحدة تعطي أمل، جعلونا كالأسرى ليس لنا من الذكريات خلاص.

فمن صان الود فتحنا له ألف باب وباب، ومن باع فلا ود له عندنا ولا لوجوده داع، حبانا الله بشيم الكرم وعزة النفس حتي نرفع الرؤوس متباهين بفضائلنا، ولا نكون منكسين أذلاء لمن خيبوا الظنون وهدموا اماكن لم يكونوا اهلا لها.

نحـن ايضا نسـتطيع الحياة دونهم، حتى لـو كانوا نبض القلب وسكينته.

❖ ❖ ❖

لمـاذا تلحقين بـي أخبريني ! تريدين ان ينعتونـي بالمختل أليس كذلك ؟

اعلـم بانك فاجـرة ماجنة تريديـن الإيقاع بي في براثن سـحرك الأسـود مـن جديـد إلا يكفيـك مـا أضعت مـن عمري وأنـا تحت سـطوتك وسـطوة جمالـك؟! إلا يكفيك بأن خسـرت حـب حياتي بسـببك أنت! لما تلحقين بي كلما شـعرت بأن الحياة ستبتسـم لي بعيدا عنك؟!

ألحقـك بـك لأنك لي وحدي ولسـت لأحـد انا مـن أحبك منذ عشـره أعوام، فعلت مالم يفعله أحد حتي أفوز بقلبك الذي أحبها هـي ولـم يحبني، كنـت فتاة صغيرة طائشـة تجري وراء سـيدها الـذي ألقي بها في نهايـة المطاف للتهلكة، أنـت من أوصلن إلي هنـا، خطوت نحـوك ألاف الاميال لكنك لم تخطـو أتجاهي ولو خطوة.

وعندما كسـر قلبي وذُلت نفسـي أقسـمت علي أن احرق قلبك برمـاد قلبـي المحترق، وها أنـت ذا راكعا عند قدمـي تطلب مني العفو والسـماح، نعم أنا سـاحرة كافرة ماجنـة، عصف بها حبك إلي طريق الدجل وتسـخير الشـيطان لخدمتهـا، ولكن فعلت هذا كله حتي أنا نظرة حانية من عينيك لأعود كما كنت.

مجنونة !

نعم أنا مجنونة، مجنونة بك أنت شغفت بك مثلما شغفت أنت بها!

تقصدين من ؟!

❖ ❖ ❖

الآن علي أن اكف عن العيش بالماضي، فهذا الماضي ليس لي هو لجدتي، علي ان اواجه اختياري الذي تسبب لي في هجر دياري ، وتـرك كل مخاوفي خلفـي وجعلني أجوب الطرقات حتي وصلت إلي هنا ، ها أنا أمكث مع غريب خذله الحب مثلي!

يـا ليـت الحياة كانت عادلة حتي تهب لنا من يسـير معنا شـتي الدروب، دون افلات أيدينا.

❖ ❖ ❖

كفاك هراء، أنت تهزين من سوء حالتك التي يرثي لها ، دعيني أخبرك لما لم ابادلك نفس الشعور.

هيا أخبرني ؟!

حقـا كنـت مولعـا بجمالك، وسـحرك الخلاب، ولـون عينيك الذي يشـبه السـماء في صفائها ، لكن لم اسـتطع أن أكسر قلب صديقي، لقد أحبك حبا عظيما لم تسـتحقيه وتركتيه وركضتي خلـف نزواتـك الواهية وحبك للمال لقد احبـك منذ النظرة الأولي، منـذ ان راك برفقـة والدك ذاك اليوم، أيـن وصلت أنت؟! ها انت ذا هنا تقفين امامي بوجه عابس، ملابس بذيئة افنيت عمرك في حب مـن لـم يحبك قط، وتركت مـن لو طلبتي منه اشـعال اصابعه لك شمعا ، لتحول لأجلك جمرة مشتعلة تنير دربك.

هيـا أذهبي الآن بكل هذا ، واخرجي قـدر من ذهنك، وابحثي عن ذاتك من جديد.

(٤)

مـا بين الحين والآخـر نظن بأننا قادرين علـي التخطي، ولكن يحدث مالم يتوقعه عقل !!

وبينمـا نحـن ندفن تلـك الذكريات البالية، نقـع بالحب من جديـد، وبالمصادفـة نـدرك بأن الحـب ليس للحبيـب الاول ولكن للأصدق وعدًا، والأشد تمسكًا.

❖ ❖ ❖

مضـى الكثير من الوقت وأنا علي تلـك الحالة، صدقًا لا أدري كـم المـدة ولكـنِ لـم أعد أشـعر إلا بغصـة صغيرة تلهـب روحي وتعتصـر قلبي المضطـرب، وما أعلمه جيدًا بـأن قلبي لازال معلقًا لمـاض ولي ولايري حاضـرًا آت، وأني أعمل جاهـدًا حتي أحيا من جديد وكأن شيئا لم يكن.

فلمـا لا نسـتطيع التخطـي والنسـيان سـريعًا، ونتـرك الجروح تشـفيها السـنين، ونمضـي في مهب الريـح حاملين قلوبنـا علي الا كفف نادمين علي كل هذا الحنين ؟!

هـا هو قلبي يتمـزق كلمـا ذكرتها، وأصبحـت أتراقص علي شـفاف حفر الذكريات، تارة اتذكر ما يسـعدني وتارة اكاد أن أهـوي في حفـرة الاكتئاب اللعيـن الذي أحياه وحـدي، ويرافقني كل ليلة حتي أغرق بنوم عميق.

ومع ذلك لا زالت تقيم داخلي، فقد كانت سكني وسكينتي،

داري وجواري، وقلبها مسكني، فكيف أستطاع القدر انتزاعها مني؟!

وكيف لها أن تغيب وهي التي تعلم بأنها اذا غابت غا بت معها الحياة.

اهزى كالمختل باسمها في كل وقت، أجوب الطرقات شاردًا أبحث عنها في كل الوجوه لعلني ألمح طيفها، او لعلها تدنو مني بنظرة حانية أشفي بها قلبي العليل، او لمسة ناعمة منها تداعب بها شعري فأغفو كالطفل بين يدي أمه، او قد أصبح كالمجنون أصيح عاليًا بأن حبيبتي وعالمي عادت لي بعد غياب.

يوسف أوقف كل هذا، وكن عاقلًا لما تحدث نفسك عنها! لو أرادت العودة لعادت منذ امد لكنها تفننت في هجرك، وتركتك للوحدة تأكلك ونيران الفراق تشعل صدرك فقط. وهي تحيا وكأنك شيئًا لم يكن.

هكذا حدثت نفسي حينها ولم ادري ما علي فعله سوي، أن أحيا او فقد الحياة.

❖ ❖ ❖

منذ لقاءنا الأول لم تقع عيني إلا علي كل جميل منه ، لو كنا في زمن المعجزات لقلت بأن معجزات الحياة وهبتني إياه ، وأني ما شقيت إلا لأنعم به فهو كرماً من الله، طَيَبَ به قلبي وهدأت به نفسي و اطمأنت....

تسألت كثيرا كيف لغريب مثله أ ان يصبح قريباً لقلبي لهذا الحد ؟!

ماذا فعلت من خيرات حتي تهديني إليه شتي سبل الحياة حتي

لا أضل دونه السبل أعطاني شغفاً جديداً للحياة والسعادة والفرح، وغمر قلبي بحبه فقط فأراد أن ازهر به بعدما أرهقتني مصاعب الحياة ، فكيف لا أحبه وهو ذاك الذي أنار عتمتي ببسمة واحدة، فكان كالغيث من السماء سقط علي صدري فأنبت قلباً متيماً به.

كيف لغريب أن يصبح لي موطناً به رغد العيش، يأويني بقلبه، ويحفظني بين جفون عينيه ويخبرني ويجبرني علي السكن بين ثنايا ضلوعه، فكلما ضاقت بي الحياة يتسع لي صدره وأحتمي بقلبه كذاك الطفل الذي يحتمي بأمه وقت الخطر.

تمكنت من قلبي بنظرة عابرة خطفت بها قلبي، فكم مرة خُذلت ولم أشتكي وصممتُ علي الصبر حتي أصبحت أنت نتيجة صبري الدائم، لقد اكتفيت بك وكفيتني عن الانتظار

فسبحان ربي الذي وهبني إياك فأشفق علي قلبي المنكسر منذ زمن، دعني أخبرك بأني عندما انظر إليك أشعر بأن قلبي في صراع تزداد نبضاته لا أعلم لماذا ولكني أحب هذا الشعور، لأني أشعر بك داخلي، أشعر وكأن موطني يقيم بي مثلما أقيم به، و يا حبذا الاشتياق للقياك وأنت غائباً وعندما تحضر أبتسم وأعلم بأن جميع أمنياتي تحققت بك.

أقسم لك بأني أدين لك بكامل الحب والعطاء، لأنك جئتني كريح يوسف فأبصر بك قلبي مثلما أبصرت عيني يعقوب، فكل حبيب يبصر بمحبوبه ويعود قلبه للحياة.

وأقسم لك بأنك لو جئتني بثقل العالم، ووضعته بقلبي أتسع ليحمل عنك كل ضيق، وحملت كل ما بك من حزن و ابتسمت لأري ابتسامة عينيك، ومددت لك يداي لتسكن يداك بهما

وتطمئـن، فمنـذ أن رأيتـك وعاهدت قلبي أن لا نغفـل عنك ولا ينام حتـي تنام كما أني أصبحت لا أري الحياة إلا بك، وأصبحت علي دراية كاملة بأن الحياة تعطي الفرص للعيش مرة أخرى.

جئتتـي فنسـيت ما مضي ولا أفكـر إلا بك، أخشـي دائماً بأن تعجـز كلماتي عن وصفك، ويخونني التعبير أحياناً، لكني أدون لـك كلماتي تلـك لأني علـي يقين بأنـك سـتقرأها ذات يوماً ليس ببعيـد، وتبتسـم مثلمـا أبتسـم الآن ، واعلـم جيداً بأنـك تنتظرها بشـغف حتـي تـري نفسـك بثنايا كل سـطر وكلمـة وكل حرف اخطه بيميني، أكتب لك لأخبرك بأن ما تشعر به اشعر به أضعاف مضاعفـه ، وأن جـم لحظات الملل والألم تتكسـر حين تبتسـم ، وكل ضيق يصيبني يذهب بكلمة واحدة منه ، كما أن كل شيئاً لطيفاً خلقه الله لأجله فقط، فما حيلة قلبي العليل بحبك سـوي أن يهواك وأصبحت أراك يقيناً بين يدي من شده حبي بك.

تغمرنـي بالسـعادة حينما أراك تركض نحوي باسـماً، حتي أن قلبي ينتفض في كل مرة أراك بها مثلما أنتفض بمقابلتنا الاولي، ومـازال حديثنا يحدث اضطراب بقلبي وتتسـارع أنفاسـي المتلهفة لحديثنا.

❖ ❖ ❖

علـى الرغـم من بعدنا إلا أننا قرباء للحد الذي لا حد له ، ارانا دائمـا بأحلامـي نركض سـويا كالصغار ونلتقـي بنهاية المطاف حيـث بدأنا من سـنوات، وكأني منك أبدأ وإليـك أنتهي. فأنت لم تتخطي زحام الجالسين فقط لتكون معي بل تخطيت حواجز قلبي المنيعـة وتوجـك ملكاً علي عرشـه، تخطيت كل ما هوسـيئ بي

ولأجلي، فأخبرني كيف لا ترافق قلبي نبضاته ولا تخالط صدري أنفاسه، وكيف أكف عنك وأنت داخلي تقيم، كنت أكمن هنا حيث اللاشئ، فقدت كل ما أمتلك من شغف للحياة حتي أني فقدت قدرتي علي الحياة بعدما فرقنا القدر، وتألمت أكثر وبقيت هنا حيث العشق بنهم.

وظننت أن الزمن كافي ليجبرني علي النسيان ومضيت بطريقي علي غفلة من أمري، وفرقتني الدروب عن أحبتي ولم ينقذني سوى نظرة عينيها، وجدتها تنظر لي نظرة حانية مليئة بالحب والأسي، أغرقتني بها علي عجل جاءت كطوق النجاة لتنتشلني من الضياع، وكنت حقا كالغريق أنتظر طوق نجاتي الذي ولكن هواختلفت كثيرا عن ذاك الطوق بمخيلتي، فهو الموت وبه الحياة، فعصفت بي والدروب وكان هو درب آخر للحياة وسط الوجود.

يوسف أكتب إليك منذ أن وطئت قدماك عيادتي، فاحتللت قلبي، وكشفت ما بك من حزن من نظرة عينيك، علمت منذ الوهلة الأولي بأنك تخبئ ما بك بتلك الابتسامة الباردة التي ترسمها علي شفتيك كلما دق الحزن بابك.

❖ ❖ ❖

يا ليتني أستطيع اقتسام حزنك بيني وبينك مناصفة، أو حتي احمله بدلا منك لتسعد فقط، أعلم انك تحيا علي ذاكرها ولا يمكن لغيرها أن يسكن قلبك، كما أنني أعلم بانك لن تنظر لطبيبتك التي تعتبرها صديقة، كما أنها ارملة وأمًا فقدت طفلا، ولن يسمح لها المجتمع بالحياة والحب من جديد.

واللّه أني لا اتمني أكثر من اظل قريبة لقلبك، وان أبقي ملجأك

الذي تهرع إليه عندما تدق الذكريات الاليمة باب قلبك.

فيكفيني منك ابتسامه حانية يسعد بها قلبي، فيا ليتك تبقي هنا للأبد.

فكم وددت أن أشعر بدفء يديكِ، وأمان نظراتك الحانية من قلبي ، كم من مرة شعرت برغبة عاتية في أخبارك بأني أشتاق إليك، لقد أحببتك منذ الوهلة الأولي، كنتِ ناظرة للسماء تتأملين البدر الساطع في السماء ، تسألت حينها كيف لبدر يتأمل بدر بعين براقة تتوهج بالشغف ؟!

تبسم ثغري وصحت عالياً

هيهات هيهات والله أن جمالك قد فاق جمال البدر.

تمنيت حينها أن فتخفض ناظريك لتجدني غارق بك وأنت غارقا بالقمر. فأنت كترنيمة السلام سكنت نبضي منذ رؤيتك فأنتظم

وأصبح حبك كالرحلة العابرة لقلبي حيث عبر مني إليكِ وعاد متيماً بك.

رحلة خضتها بكل جوانحي لكي أرمم ما بي من شروخ، وكأنك عاهدت قلبي أن تعيدني أزهر بحبك من جديد ، فبدوت وكأنك شعاع أنبعث من السماء أصاب قلبي فأنرت ثنايا قلبي المعتمة بحبك، فكسرت كل قواعدي لأجلك فقط، لا أعلم لماذا ؟

ولكنك وهبتني شيئاً أسمي من الحب، ربما وهبتني سعادة او فرحاً أو ربما وهبتني حياة !

أتمني من صميم روحي أن يكون حبك حلماً مكتملاً ليجمع شتات روحي ، فأن قلبي رق لك وبطيف روحك أطمأن. فحلقت

بحبك في سماء عالية كعصفورة جناحها كانت علي وشك الموت ولكن القدر وهبها سبباً آخر للحياة.

❖ ❖ ❖

لازالت الذكريات تداعب عقلي من خين لآخر ولكن هناك شعورًا مختلف يتملكني حين اراها , ربما ابتسامتها التي تتخلل حنايا قلبي، او كلماتها التي تُضمض جروح روحي.

أو أني فقط اجنح إلي قلبها حتي يسعد بها ، لا أعلم ماذا يصيبني عندما تضحك لي عيناها ، هل وصلت لحد الجنون بها أم أنني أتخدها سبيلًا جديدًا للحياة؟!

لست ادري ماذا يحل بقلبي ولكن لن اخوض تجربة فاشلة من جديد ، وتلك المرة الأمر صعب سأعاني الامرين منها !

وهي أنثي كسيرة القلب مثلي، ولكن بإختلاف الظروف، فأنا أخترت الهجر بيدي وتفننت في ايزاء من أحببت، وهي اختار اللّه زوجها ليسكن جنات الخلد ، فكيف يمكن للقدرأن يكون قاسي لذاك الحد ويجعل ملاكًا كتلك يبقي من شدة الالم والفراق، وكيف للحياة ان تخذلها مرتين، مرة حين فقدت زوجها ، ومرة حين فقدتها ولدها ! هون اللّه غلي قلبها وقلبي.

❖ ❖ ❖

فرح

ذاتي ماذا! يا آدم انا فقدت حياتي منذ أكثر من عام، والآن ليس لي أثر إلا في خيالك لشعورك بالذنب لأنك جنيت علي قلبي بحبك فأصبحت رهينة لنظرة عينيك، انا أحيا داخلك في ثنايا الليل لأرجف قلبك من شدة الخوف

لكي أحي ضميرك واجعلك تختار درب آخر لحياتك، ها أنا ذا ذاهبة وسأتركك لقدرك حتي تعاني !

ماذا!

أين ذهبتي ؟! لما تفعلين ذلك بي؟! فأنا لم اوهمك بحبي ولم اجني عليك لقد جني الحب علينا ؟

كنت أحاول نسيانها بك، ولكن صدقا حاولت حبك، ويوم الحادث كنت علي وشك أخبارك بأني احبك ولكنه قدري اللعين جعلني أذهب لزفافها ، وعندما عدت وجدتك قررتِ تركي وترك جميع أحبتك وذهبتي.

لا تبرر لنفسك فلن أغفر لك فعلتك وسأظل أتبعك لحين يحيل بيك وبيني موتك، إما عن قدر سأتركها وشانها يكفيها ما بها من حزن، والآن أخلد للنوم يا عزيزي سأزورك كلما حاولت نسياني؟

في تلك الاثناء هلت قدر بوجهها البشوش لأنسي ما حدث لي منذ لحظات، لكنها في لحظة هدمت ما بي من سعادة بقولها..

(أشكرك سيدي علي استضافتك لي، سأذهب اليوم)

تلعثم لساني أمام طلبها ، لكن عيناي ترجوها بكل ما بها من شغف وحب أن تظل، فأبت الخضوع لرجائهما وذهبت، واصبحت مرة آخرى وحيدا!

❖ ❖ ❖

لا أعلم لماذا اخبرته برحيلي، لماذا يهمني أمره، إلا يكفيني وجعًا لهذا الحد.

لست أدري لماذا أنتظره بكل هذا الشوق ليركض خلفي ويمنعني من الرحيل ! هل جننت أم ماذا؟ لابد انني فقدت عقلي

بجلوسي في تلك الغرفة حبيسة بين يوسف وذكرياته وآدم وتفننه في تجبني بعض الاحيان، وتركي لأحيان آخري.

وفي لحظة فتح الباب وهرول إلي مقعدي، ظننت أنه سيصفعني ولكن ما حدث لم يكن ببالي جذبني إليه وبكي علي كتفي كطفل صغير يشتاق لضمه حنونه تذيب جليد قلبه، وتهدأ من روع روحه.

وهمس لي قائلا

قدر لا تتركيني وتذهبي، لأني لست سيئا لذاك الحد، انا فقط احاول ان أكون صلبا، لكني هش للغاية، ابتعد علي رغم الاشتياق، أفلت أيدي احبتي وقلبي معلق بهم!

فعلت ما لم يفعله احد قتلت البعض علي قيد الحياة، سلبت الكثير ضحكاتهم، وفي نهاية المطاف فقدت حسناء حياتها بسببي، وما زلت أقنع نفسي بأني لست المذنب ! هي تأتي كل ليلة للانتقام، تريد ان تقضي علي ما تبقي من روحي وعقلي، فأخبريني كيف لسيئ مثلي أن يحيا ويبتسم ؟!

اخبريني لما عليا أن أهزم دائما! فقدت الكثير والكثير ولكن لا يمكنني فقدك، فعندما رأيتك وجدت سعادة الكون بك.

❖ ❖ ❖

(٥)

أوجه الحياة كثيرة، ولكن الحب أسمي وجه بها، احبوا هونًا، واعشقوا هونًا، وأن أتتكم الفرصة للحياة اغتنموها .

❖ ❖ ❖

يتسألون كثيراً عن صفات فتي أحلامي ، ينتظرون ذلك الفارس المغوار الذي سيأخذني علي ظهر فرسه الأبيض إلي أرض الأحلام، يظنون بأني ساذجة أفكر في فتي الأحلام الاسطوري الذي يشغل بال الكثيرات ، ولكن أنا مختلفة تمام الاختلاف ، صاحبة مواصفات قاسية ، لا يهمني كونك فقيراً أم غنياً ،اسمر اللون أو أبيض، أنا أنتظر ذاك الذي سيصب علي قلبي الحب صباً ، يكفيني كونه حنوناً.و هين العيش، كريم ليس بلئيم ، يراني وكأني أعظم انتصاراته في تلك الحياة، يشعر بي وقت ضيقي ، أحتمي به وقت ضعفي، يستر عيوبي عن عيون البشر، يأويني ويحميني كطفلة مدللة، وليعلم بأني سأترك مسكني وأرتحل معه حيث يقيم، فليكن هو المأوي والسكن.

ولما رأيتك في ذاك اليوم، وتبسمت لي شعرت بأن أدور بحلقة مفرغة أولها ابتسامتك وأخرها نظرة عينيك ، رحلت سريعا ولكنك علقت داخلي، رسمتك بحنايا قلبي، وحفظت صورتك بعيوني، فكيف أستطيع أن أتغاضي عنك وأنت أصبحت كأنفاسي؟!

اقتحمت حصوني المنيعة بنظرة، هيهات هيهات منها.

جعلتني أشعر بأن الحب لم يخلق إلا لسواك، وأنسيتني كلما

وضعتـه مـن مقاييس، والتقيتـك مجدداً فتوقف ضجيـج العالم من حولي وأستكان قلبي بنظرة عابرة رمقتني بها.

كانت نظرتك حادة في ذاك اليوم، حيث أخبرتك بأني سأرتحل مع أمي لحي آخر.

رمقتني مجددًا بنظرات عينيك ،

فبكيـت مـن حددتها ، لكنك هرولت إلـي مداعبا ، وأخبرتني بانك تنتظرني كل يوم منذ لقاءنا الاول.

حقاً تعجبت من جرأتك ، ووقوعي بك ولكن سألت قلبي لماذا أنت فأجابني ساخراً «يا حمقاء فالوقوع بالحب من نظرة ممكن لو كان الشخص يستحق».

أقسـمت حينها بأني سأخبر كل من يلومني علي حبي لك بأنك كنـت حلمًـا لي منذ زمن أن ألتقي به، فجئت لي محملاً بكل ما تمنيت من السعادة.

وأني رأيته يشـق غيوم قلبي شـقا وينير الطريق أمامي حتي أني ظننت أنه ملاكاً جاء ليواسيني بحزني ، اقترب مني علي استحياء ولكني هرولت إليه حتي لا يغيب عن ناظري.

تمنيت أن يبقي هنا ولا يكون سراباً يداعب قلبي فقط، تيقنت بأنه حقيقة عندما همس لي أحبك، شعرت بأني أحلق بالسماء كالطيور، ولم أعد أخشي الحب وكأنه جاء ليبث بي السعادة والاطمئنان.

يوسـف فأنت مـا زلت حلمًـا بمخيلتـي، أراك كل ليلة بمنامي فأتمنـي ان تصيـر فتـي أحلامي، وكيـف تكون لـي وان ظروفي تعاندني، ويخونني حظي كل مرة!؟

❖ ❖ ❖

قلت له بغضب شديد..

آدم أبتعد ، لماذا تفعل هذا ، ولماذا تبرر لي؟!

أجابني بنبرة حانية..

انـا أبـرر لكِ لأني أحبك أريدك أن تنتشـليني من ضياعي الذي يغرقني بالوحل!

لمـا جعلتها تلجـأ للانتحار ، لمـا جعلتها تظن بأنـك تحبها ماذا فعلت لك؟؟

اهدأي ولا تبكـي ارجوك ولا تنفري مني ، وسـأقص عليك القصة كاملة ، لكن عديني أن تفسحي لي المجال وان تصدقيني !

اعدك

حسنا سـأخبرك.

نور ، اشتقت لكِ ولكن أحاول الابتعاد حتي لا اصيبك بلعنتي ، لا أدري كيف ومتي تعلقت بك.

كنـت اجلـس وأفكـر بهـا ، واذا بجـرس الباب يـدق ، هممت بالفتح فوجدتها تبتسم كالملاك ، وتعاتبني بنظرات عينيها

ثم كسرت الصمت

قائلة

أنتظرك بالسيارة هلا أتيت احتاجك.

قالتهـا وذهبت وبقيت أنا في حيرتي أبتسـم ، أحاول أن اتمالك نفسـي ، وتسـألت بنفسـي فكيف أكون افكر بها واذا بها تأتي وتطلـب لقائـي كيـف هذا هل مـن الممكن أن تكون تشـعر بما اشعر به ، يا ليتها تشعر بي لتخفف ما أحمله ، وتريح قلبي من اثقاله.

تأنقت وكأني ذاهب لعرسي، كنت أخشي النزول لها حتي لا اسحر بها مثلما تسحرني كل مره، وفي نهاية المطاف خضعت لقلبي ونزلت!

رأتني فأتتني باسمة واقتربت لي وقالت

بصوت مسموع أحبك وأشبكت يدها بيدي وقالت

(سأبقِ هنا معك، حتى تنتهي الحياة، أعلم بأنك تبادلني نفس الشعور ولكنك تخشي الفقد، فأنت تحبس نفسك بالذكريات، هلا أتحت لي فرصة لأعيد لك ابتسامتك، هذا لك)

اعطتني كُتيب صغير وطلبت مني أن أقرأ ما به عندما تذهب.

لم استطع الانتظار، لكنها اقسمت علي بقدرها بقلبي ان اقراه عندما تذهب فخضعت لطلبها، واقول بنفسي كيف لقمر مثلها أن تحبني وتأتي لتصرح عما بها، وسرعان ما طلبت الرحيل، حتي لا تتأخر اكثر من ذلك.

تحركت بلطف فأثارت عقلي وقلبي معها لكنها نظرت لي نظرة اطمئنان، كنت أراقبها علي استحياء حتي لا تكتشف ما بي من ذهول واندهاش، حاولت أن أثبت أمامها، لكن سعر عينيها جذبني من جديد وغرقت بهما واقتربت منها هامسًا

(أحبك)

احمرت وجنتيها ونظرت لي بخجل ولملمت شعرها المتدلي علي كتفيها، حاولت لمسها ولكن غير قدير بها، وغير مؤهل لذلك، ولكن شيئا ما كان يدفعني لاحتضان يدها بين يدي حتي تشعر ما بقلبي فأضطربت نفسي وخشيت فقدانها، فيا ليتني أستطيع البوح بفيض مشاعري أمام تلك العينين، فانهما تأسراني

بين جفونهما كرسمه كحل تتزين بها ولا تجرأ علي أن تمحي من عينيها.

❖ ❖ ❖

آدم: أجلسي هنا ولا تبعدي ناظريك عني أرجوك يا قدر، أنا بحاجتك الآن فقط استمعي إلي وصدقي عيوني فأنا لست كاذبًا.

قدر: سيد آدم لست أدري ما اقوله ولكن أحذر أن تخدعني بضعفك الواهي الذي توهم به نفسك، أنت لست مظلومًا او ضحية أنت قاتل!

قاتل ؟!

فأجابتني دون تفكير.....

نعم قاتل لا تنظر لي شذرًا هكذا، فأنت قتلت نفسك وقلبك ومشاعرك، وأفنيت عمرك خائفًا تتواري خلف نزواتك الكثيرة، فلا تلوم إلا نفسك.

وتلك الفتاة التي تقص لي حكايتها ليست إلا سرابًا بمخيلتك، او ربما ضميرك يجعلك تراها من حين للآخر حتي يعيدك إنسان، فقوم نفسك بنفسك ولا تهلكها.

والآن أترك يدي، فأنا ذاهبة فأنتم الرجال دائما تتركون من تعشق تفاصيلكم وتركضون خلف تلك التي تقلم بكم اظافركم بالهجر والقسوة.

قدر: أنتظرِ ولا تذهبي أنا...

سيد آدم لا عليك أتفهم وضعك الحرج، وأعلم ان الظروف وضعتني بطريقك عنوة عنك فلا تبتأس سينتهي كل هذا، وستتذكرني دائما بأني تلك الفتاة التي تتشابه مع القدر.

❖ ❖ ❖

استأذنت نور في الرحيل، لكنها أبت أن أذهب معها ، وطلبت مني الصعود للبيت لأستريح وذكرتني بكوني مريضها ويتوجب علي الالتزام بتعليماتها الطبية حتي لا أنتكس من جديد.

رضخت لطلبها تلك المرة أيضًا وصعدت للبيت، ولكن تلك المرة لن أمكث وحيدًا فهي ترافقني بكلماتها الرقيقة

والحانية، التي تزيد قلبي فرحًا وتزيل كل كروب الدنيا عن صدري، أعلم أنها دونت الكثير من كلماتها العذبة في ذاك الكُتيب، كما أنني أعلم بأنها تكتب بكل مشاعرها حتي تصدق بما تقول.

ها انا الآن بالبيت، الاضواء جميعها مطفأة إلا مصباح صغير بغرفتي، جلست علي فراشي متأهبًا للقراءة ، ألتقطه وشرعت بالقراءة لكن الهاتف يرن !

تمتمت بغضب من ذاك البغيض الذي يقطع خلوتي، وبلحظة تحول غضبي إلي فرح وسرور، ورددت بصوتًا عاليًا انها هي المتصل، يا فرحتي وحبوري

أجبت علي هاتفي بتلهف : نور كيف حالك ؟!

نور : بخير ! وانت

- بخير

- هل بدأت تقرأ الكُتيب ؟!

- نعم

- أين وصلت ؟!

- ما زلت عند المقدمة !

تمتمت بغيظ وقالت كل هذا الوقت ولا زلت بالمقدمة ، تركتك

منذ ثلاث ساعات كسول، ماذا كنت تفعل ؟

- تمتمت بنبرة هادئة وقلت لها أنا !

- نعم أنت !! قالتها بتهكم !

فأجبتها بحب...

- كنت غارقًا بك، وشاردًا بتفاصيلك متعجبًا من نفسي، أشعر بفرح وسعادة وحزن في آن واحد، أخشى أن تكوني حلمًا يداعب قلبي، ثم يختفي، أخاف من أن لا تطيقي الحياة بجانبي وأني لا أقدرعلي أن اساعدك، وأفشل في أن أكون ذاك الصديق الذي كان من ذي قبل، تسألت كثيرًا لما تفعلين هذا لأجلي، هل الحب كافي لأن تهب حياتك لمن تحب ؟! لكنك لم تهبي لي حياة فقط، لقد جعلتي قلبي يحيا من جديد، ذاك القلب الذي أنهكته الاحزان وأزهقته، حتي تيبس داخلي فكان ينبض فقط لجعلي أبقي علي قيد الحياة.

صمت لبرهة، فقالت في حنان،

(أحبك دون شروط، ودون مقابل، وجدت بك أبًا واخًا وابنًا وضع كل المسميات التي تريدها، رأيتك عوضًا عما فقدت، فكيف لي أن أضل السبيل وأغفل عنك)

صمتت ثم أردفت قائلة..

(أحببتك كصغير، رأي بك المأوي والأمان، كبركان يثور فتساقطت عليه الامطار فأستكان بها، لقد خضت معارك كثيرة بالحياة وهزمت بها، لكنِ اقسمت علي فوز تلك المعركة.)

معركة!؟

- نعم معركة، فالفوز بقلبك وأن تهبني حبك معركة، أن لم

أفز بها فقدت شغفي بالحياة.

- ضحكت ثم أتبعت قائلًا بسخرية ، ومع من تخوضين تلك الحرب ؟!

- أجابتني في حنق شديد ، معك أنت ، مع ترددك وخوفك، من أن يهزمك الحب من جديد ، أراها بعيونك في كل مرة تأتي بها للجلسة ، لكنك تمنع نفسك من قولها باللحظة الأخيرة ، سأخلد للنوم تصبح على خير.

اغلقت الخط ، ووضعت ما كان بيدي جانبًا وخلدت للنوم بأطمئنان منذ وقت طويل.

❖ ❖ ❖

تركته بمفرده وذهبت لغرفتي لأستعد للرحيل ، لم يمض وقتًا طويلا حتي أتاني مجددًا ، كان يبدو مختلفًا عما كان من نصف ساعة فقط! تعجبت كثيرًا من هيئته ولم ابدها له ، لقد كان عابسًا كعادته لكنه كان اكثر جاذبيه تلك المرة ، خطف انظاري وكأني لم أراه من قبل ، وقبل أن أشرد به واذوب بتفاصيل وجهه وعينيه اللامعتين علي غير عادة ، أوقفت نفسي بغضب أنزلته عليه حينها وقولت له بحدة

(لما أتيت إلي هنا ، لقد انهينا حديثنا منذ قليل ، ترهق نفسك بغير فائدة ، لن أظل وسأعود إلي بلدتي غدًا ، فلا تطمح في أن تغير قراري.)

اقترب مني وامسك بذراعي فكاد أن يخلعه من شدة غضبه ، ولم يتفوه بكلمة واحدة بقي ينظر لي ، وكأنه يرسم لي صورة بعينيه ، حاولت تخليص نفسي منه لكنه أحكم قبضته ، وكلما

حاولت يحكم قبضته أكثر ويقترب مني حتي لم يبق بيننا سوي مقدار خطوة، قال لي حينها

دعيني أخبرك بأن عينيك الجميلتين يخبراني الآن بأنك تحبيني مثلما احبك أنا، وانعكاس صورتي الذي يسكن عينيكِ يدغدغ قلبي، ودفئ أنفاسك المتلاحقة ونبض قلبك المسموع يزيدوني جنونًا بك، فأهدئ حتي اتركك.

حاولت الهدوء مرارًا وتكرارًا حتي استقرت أنفاسي، لكم بكيت فذراعي يؤلمني كثيرًا وهو لم يهتم، فزاد الألم فبكيتَ بصوت مسموع وطلبت منه في رجاء أن يتركني لكنه رفض، فأزداد بكائي مما أغضبه أكثر، فدفعني بقوة حتي سقطت علي الارض وصرخت من قوة الدفعة فلم يبالي ونزل علي ركبتيه وحدثني لهجة تهديد وقال

(ان ذهبت، واختفيتِ عن أنظاري سأتي بك ولو بعد مائة عام، فمن أنت لترفضي حبي، فأنا الفتيات يتقاتلن حتي يواعدوني، وأنتِ بكل بساطة ترفضين حبي، وتسحقين قلبي بين كفيكِ وتلقين بحبي أرضًا دون أن تعيريني أي اهتمام فكيف تتجرئين؟!)

اجبته بلهجة أشد حدة

(ولماذا أعيرك اهتمام، وانت لم تعيريني إياه إلا عندما كنت علي وشك فقدي، لماذا لا تنتظر مثلما انتظرتك لتبوح لي بحبك، في كل مره كنت تعاملني بقسوة يُكسر شيئا لك داخلي، في كل مرة انتظرتك بها وبم تأتي كان يتفتت قلبي، وأيضًا في كل مرة كنت اري بها عينيك أصبر قلبي واقول له أصبر لعل اللّه ينتشله من ضياعه، ويهدي له السبل حتي يراك، ولكن الآن جفا قلبي، عليك ، فيا سيدي اتركني وشأني فانا لم أعد أطيق

الحب، فمن خُذل مرتين عليه الابتعاد عنه).

قُلت كلماتي تلك ولم ابالي به وركضت مسرعة، صوب الباب وركض خلف لكنه لم يستطع الامساك بي، ظللت أركض حتي وصلت لمحطة القطار وذهبت معه في رحلة آخري لقدري المجهول!

لا أعلم إلي أين ذاهبة وإلي متي سأظل هكذا، ولكن ما أعرفه جيدًا ان القدر المحتوم سنلقاه.

❖ ❖ ❖

تمت

إلى اللقاء في رحلة قدر أخرى